

الفينومينولوجيا: تأملات المنهج 2

The Phenomenology: Reflections of the Method 2

بروس بيغو، ترجمة: أ. دقواسمي مراد*1

¹ شعبة الفلسفة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (الجزائر)، mr.gouasmi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/23 تاريخ القبول: 2020/03/10 تاريخ النشر: 2023/05/04

ملخص: تمثل هذه الترجمة الجزء الثاني من مقال يحمل العنوان نفسه، وهو الفينومينولوجيا: تأملات المنهج، والذي نشر في المجلة نفسها من المجلد 5 العدد 1 سنة 2017. يعتبر هذا الجزء الثاني استمراراً لأفكار سابقه وخوضاً لأغوار الفينومينولوجيا من حيث التوسيع والتوضيح، ابتداءً من: نظرية الرّد والانتقال من الموقف الطبيعي إلى الفينومينولوجي منه، مروراً على نظرية التأسيس/التقوّم وصور عطاء المعنى، وتعريجاً على توسيع مفهوم التجربة من الذاتية المنغلقة إلى الانفتاح على البيّناتية، ثم انتهاء بعالم الحياة وإعلان تأثر هوسرل بفلسفة هيدغر وفلسفة الحياة اليومية، وفي الخاتمة يتضمن المقال بعض الانتقادات التي يقدّمها بروس بيغو لهوسرل بصدد إرادة تأسيس الفينومينولوجيا باعتبارها علماً صارماً وما يحول دون تحقيق ذلك. إن الهدف من نشر هذا المقال هو تقديم المنهج الفينومينولوجي للقارئ الجزائري والعربي بلغة بسيطة واضحة.

كلمات مفتاحية: فينومينولوجيا، الرّد، التجربة، التركيب الانفعالي، التقوّم، البيّناتية، العلم الصارم.

Abstract: The current translation represents the second part of an article with the same title, namely: *The Phenomenology: Reflections of the Method*, which was published in the same journal, issue volume 5, number 1, 2017. This second part is considered a continuation of previous ideas and an in depth reflection into phenomenology by bringing more clarity and broadening the meaning of the concept, starting from the reduction and passage theory of the natural attitude towards the phenomenological attitude of it, moving to the constitutional theory and the meaning donation forms, passing by the expansion of the concept of experience from solipsism towards openness to inter-subjectivity, and ending with the life-world and the declaration of Husserl's influence with Heidegger's philosophy as well as the philosophy of daily life. The article concludes with some criticism exposed by Bruce Bégout to Husserl concerning the will to constitute the phenomenology as a rigorous science and what abstain it from being realised. The aim of publishing this article is to present the phenomenology method to the Algerian and Arabic reader in a simple and clear language.

Keywords: Phenomenology, reduction, experience, passive synthesis, constitution, inter-subjectivity, rigorous science.

*المؤلف المرسل

1. نظرية الرد :

يجب أن تحتوي بناء على طبيعته القصدية، يقذفنا الوعي في العالم باستمرار، إذ يعيش طبيعياً بالقرب من الأشياء، بما أن الطريقة التي نتواصل بها مع الأشياء تتضمن أننا نقصدها (نراها) بصورة مسبقة لأي وعي مهيأ من طرف قصدنا (رؤيتنا) نفسه، وبالتالي فإن القصدية التي تعمل من دون انقطاع في الإدراك، التخيل، الذاكرة والفكر الدلالي، ولنقل كل علاقاتنا الممكنة مع ما يمكن أن يكون، تحرّض سيورتها على البقاء محجوبة عما يكملها بما أنه، منذ الوهلة الأولى، لا يمسك بوضوح سوى الموضوعات القصدية وآفاق عطاءها: العالم.

لا تحجب القصدية عنا نمط وجودها فقط، وإنما تدفعنا بالقدر نفسه إلى إثبات وجود مختلف الموضوعات التي نقصدها بواسطتها (أي القصدية). إن التعالي القصدي يتصرّف دائماً على أن المتعالي Transcendant يتجلى لنا قبل التعالي Transcendence نفسه. يصمت الوعي القصدي بالضرورة في "الموقف الطبيعي" الذي يركز على قبول العالم كما هو موجود، كما أراه حضورياً، وبصورة غير مشروطة وعفوية، على طرح وجود كل الظواهر المتجلة فيه. إننا موجهون نحو الأشياء في الموقف الطبيعي، غير أننا لا نرى التلازم بين هذه الأشياء والأفعال التي يقوم بها وعينا من حيث يعطيها المعنى، فالموقف الطبيعي يثبتنا كلية أمام يقين مباشر وواضح لا يرتاب سوى في كونه يقينياً يمكنه الخروج عن جملة العمليات المعقدة والغامضة، إنه يبقى غامضاً بالنسبة لعملية القصدية مؤثراً في الوعي القبل-تأملي Pré-réflexive والساذج في مواجهة تشابك علاقة الوعي والعالم غير المشكوك فيها. ولكن بإثبات وجود الموضوعات التي تلقاها، فإن الموقف الطبيعي لا يسائل السهولة التي يكشف بها الأشياء الموجودة حوله، وهذا مسلم به. من هذا المنظور، فإنّ الموقف الطبيعي، بالنسبة لهوسرل، ليس حكراً على الإنسان العامي، إنه يطبع أيضاً يقينيات إنسان العلم الذي يعتقد في العالم من دون مساءلته. إنه يسائل بالطبع، مختلف جهات العالم في الإطار الخاص بمجال موضوعاته (البيولوجيا، الجيولوجيا، الأسترونوميا... إلخ) غير أن وجود العالم عموماً لا يطرح مشكلاً لديه. فقد تمكن، بالاعتماد عليها وبفضلها (أي الموقف الطبيعي) بوصفها مضمونة سرياً فضلاً عن الدوام الأنطولوجي لكل ما يشملها (الموضوعات). حسب هوسرل، فإن هذه الطبيعانية (الزعة الطبيعية) تميز التموضعات العلمية، دوماً، فيما يتعلق بنظرية المعرفة، وصورها العليا بمعنى أقرب، ولكنها من جنس الموقف الطبيعي.

في الواقع، وبكشفنا عن القصدية فإنه ينبغي على الفينومينولوجيا الاحتراس من التأثيرات المباشرة على الوعي اللا-فلسفي، ففي زمن مبكر ومنذ 1905، 1906، أدرك هوسرل هذه النتيجة المفارقة

للوعي القصدي: إذ وجد منفذا للولوج في معرفتها الفينومينولوجية الخاصة. وهو ما يتفق، أولا، مع تحديد، عن طريق منهج ملائم، الأثر الهدام للوظيفة الطبيعية للقصديّة، وثانيا، استدراج الوعي القصدي إلى التفكير من دون انتظار شروط اكتماله. يركز الإيبوخي L'époque، (مصطلح إغريقي يقصد به التوقيف والامتناع)، على تعليق الوضعية العشوائية لوجود أي موضوع تمت إثارته في الموقف الطبيعي، وهو ما يسميه هوسرل "أطروحة العالم"1.

أثناء ذلك يقوم الوعي باستئصال اعتقادنا الطبيعي، بدون أي شكل آخر، في قبول تقدم وجود أحداث وموضوعات تحيط بنا، ولكن الإيبوخي ليست سوى الميدان الأول لمنهج ينتظر منه التصدي لتأثيرات الموقف الطبيعي الذي يدفعنا بين يدي القبول بعشوائية العالم. باسم تعليق وضعية وجود كل موضوعات العالم، فإن عطاءاته تكون فعالة (إيجابية) بالنسبة للوعي. وهذه العملية التي تقصد فهم الموضوع كظاهرة Phénomène أو كتجلي Apparition تسمى بالـ "ردّ الفينومينولوجي" Réduction phénoménologie: إنه يحوّل موقفنا الطبيعي إلى موقف فلسفي يوجّه نظرته للموجود لأجل فهمه كظاهرة محضة. إن "تحوّل النظر" Conversion du regard، من دون شكّ، هو الحركة الجوهرية لأجل فهم وتطبيق الردّ، وبذلك يكون الانتصار ثلاثيا.

أولا: يتّجه الردّ إلى القبض على كامل ما هو معطى كظاهرة، فلا شيء، مما كان، يضيع، إن لم يكن الوجود ذاته، وهاهنا فأنا لم أعد أضع الموضوع أبدا كموجود هنا Existant à بكل بساطة، ولكن بوضع وجوده بين قوسين، فإنني الآن أقصده كظاهرة محضة، بل بالأحرى، أكثر تجريدا عما يحجبه عني تعليق وضعية وجوده.

في المجلد الأول من كتاب "أفكار رئيسية من أجل الفينومينولوجيا" يحذّر هوسرل: علاوة على أنه لا علاقة للردّ بالموقف الريفي Position septique الذي يشكّ في وجود العالم، فإن الإيبوخي والردّ الذي يعطيها معناها لا يأتيان على نفي العالم "فحينما أتصرّف كذلك (أي أمارس الردّ) (...) فأنا لا أنفي هذا العالم كما لو كنت سفسطائيا ولا أضع وجوده موضع شك، كما لو كنت ربّيا، وإنما أمارس الإيبوخي الفينومينولوجية التي تمنعني، على الإطلاق، من إصدار أحكام عن الوجود الزمان-مكاني"2 وبالتالي، أن أشكّ يعني أن أنضم إلى لعبة وضعية الوجود التي لا نعلق منها، هاهنا، سوى إمكانية واحدة ووحيدة، ولكن ليس فقط الوجود اليقيني هو ما ينبغي وضعه بين قوسين، بل كل وجود: وجود متيقّن être-certain، وجود-شكي être-douteux، وجود إشكالي être-problématique، لاوجود non-être. إن الردّ، لا يشكّ، إنه يمحو ببساطة كل إمكانية للتفكير بأن شيئا ما كائن أو غير كائن، إنه يركز على "قلب القيم"

Conversion des valeurs 3 الذي يترك الموضوع المماثل Identique في معطاه الظاهراتي وماهيته ولكن جاعلا وجوده من عامل عدمي.

ثانيا، إن الردّ يوضّح أيضا مدى تعلق الظاهرة لدى تجليها بمختلف شروط التجلي التي يماثلها هوسرل بأنماط الوعي. فما هو معطى في الردّ وعبره، الموضوع الموجود المردود Réductible إلى ظاهريته لا ينعطي من ذاته ولا لذاته، وإنما يرتبط باستمرار بشروط العطاء Donation التي تكمن، بالنسبة لهوسرل، قبل كل شيء، في الأنماط المختلفة التي يتحقق الوعي سلبا (انفعاليا) وفقا لها بواسطة ظواهر أو يقصدها إيجابا (بفعالية).

يرتكز الردّ، هنا، على التوجه نحو دائرة العطاء La sphère de la donation حيث تستقبل الظواهر تحديدا جديدا وفقا للوعي الخالص. هذا الأخير لا يتفق، بالنسبة لهوسرل، مع ظاهرة الطبيعة التي يدرسها علم النفس الإمبريقي، وإنما مع الميدان الذي يسمح فيه للظاهرة بأن تُرى في عطائها وحده. إنه يمثل حقل التجربة الممتاز بالبحث الفينومينولوجي.

ثالثا، إن الردّ يكشف التلازم/التضاياف Corrélacion الوثيق للمتجلي Apparaissant (الظاهرة Phénomène) والتجلي Apparaître (مختلف أنماط الوعي) ويجعل من هذا التلازم ميدانا مطلقا. بإقصاء كل الأطروحات المتعالية المتعلقة بالوجود الموضوعي، إذ إنه [الردّ] يسمح بانكشاف التلازم بين الموضوعات القصدية بما هي معطيات محضة، ومعيشات الوعي الترنسندنتالي. إنه ما يسميه هوسرل في "فكرة الفينومينولوجيا" بدائرة "المعطيات المطلقة" التي تفهم، في آن معا، حسب ثنائية مصطلح الظاهرة: الظاهرة كمعطى والظاهرة كنمط في العطاء، ويتعلق ما ينعطي في قصدية الموقف الطبيعي كوجود بصورة عرضية، فيما يتعلق بقدرته على أن يكون، في آن معا، يقينيا، شكيا، إشكاليا أو حتى لا-موجودا وبذلك يصل الردّ إلى ميدان من اليقين المطلق ليس بالتدقيق يقين الوجود، وإنما هو يقين الظاهرية الخالصة. في مقابل هذا، فإن سلطة الردّ لا تتوقف عند إبراز العلاقة القصدية المحجوبة مسبقا في الاعتقاد الطبيعي، وإنما تسمح بالإحاطة بماهية الموضوعات نفسها المحفوظة فيها كظواهر.

تسعى الفينومينولوجيا لأن تكون فلسفة ماهوية⁴ (فلسفة ماهية) بل إلى نظرية متمسكة، انطلاقا من منابع الوصف والحدس، بتحديد الماهيات وكل ما أمكن أن ينعطي فينومينولوجيا. يغدو حدس الماهيات ممكنا انطلاقا من اللحظة التي لا يحجب فيها الوجود الماهية كما كان في الموقف الطبيعي. لقد تم تعليق الوجود الفعال بالردّ، ويمكن أن تظهر الماهية مستقلة من خلال حدس نوعي. سيستغرق وصف مختلف وسائل استدعاء ماهية شيء ما إلى الظهور وقتا مطوّلا، ولكن هنا أيضا بفضل "حدس

الماهيات"، ويسمى هوسرل في "الأبحاث المنطقية" "أمثلة" Idéation، ما يكون فيه عطاء الماهية عينيا ممكنا. ينتج هذا العطاء باسم التنوع المخيالي لظاهرة معينة أثناء تنوع كل الثوابت الظاهرية للمعطى التي تسمح بالتخلي عما لا ينوع وما يظهر كنواة للماهية.

سيكون تلقائيا، بالنسبة لهوسرل، أن الماهيات المحصلة باسم "التنوع الماهوي" Variation éditique لن تمنعني أبدا معزولة ومستقلة وإنما في تلازم مع ماهيات تكشف مناطق نوعية عبر شروط قوانين ضرورية: "العالم الطبيعي" للأشياء التي تستمد ماهية من المكانية Spatialité، العطاء الإدراكي إجمالا، السببية "العالم الصوري" للموضوعات الرياضية والمنطقية، الـ "عالم الثقافي" لـ "الموضوعات المستثمرة للفكر" (فيما يتعلق بموضوعات طبيعية تم تحويلها عبر التزام روحي Spirituel أو قصد إنساني كالموضوعات التقنية، الآثار و مشاهد الطبيعة) و "عالم الأشخاص" يمكن دراسة هذه الجهات انطلاقا من وجهة نظر فينومينولوجية كمصقل لأنطولوجيات خاصة.

لا ينبغي أن نفهم هاهنا، من "الأنطولوجيات" Ontologies، تلك النظريات التي تضع الوجود أو تثبت الواقع، وهو الأمر الذي يتجاوب معه هوسرل، حول الأنطولوجيا الساذجة اتجاه الموقف الطبيعي أو أنطولوجيا المعرفة الميتافيزيقية، وإنما يجدر بنا الاهتمام بفهم العلوم المختصة بالظواهر الخارجة عن وجودها-هنا وتفكيرها، من الآن فصاعدا، بما هي ماهيات خالصة، ذلك أن الأنطولوجيا الفينومينولوجية L'ontologie phénoménologique لم تعد لتدرس سؤال وجود الموضوعات، وإنما سؤال ماهيتها وتلازمها معها (أي مع الماهية)، سؤال بالنسبة لمختلف الموضوعات أو حتى بالنسبة لمعيشات الوعي الذي يلهمها ويمنحها المعنى.

لا تبتعد الفينومينولوجيا، بفضل الرّد الماهوي، عن مختلف معطيات العالم، بل على العكس من ذلك، إنها تضع قواعد جديدة لعلم وصفي أنطولوجي لمختلف جهات العالم. إنها علم حدسي ينبغي عليه خدمة أساس العلوم الطبيعية Sciences naturalistes المنسجمة مولدة منها أسسا جديدة قبلية وشرعية. يطوّر هوسرل، في المجلد الثاني من الأفكار (Ideen II) أيضا، أنطولوجيا الشيء المكاني الذي ينشد لا مجرد التخلي عن الثوابت الأنطولوجية لموقع العالم، وإنما تزويد الطبيعة المعاصرة بأساس فلسفي أكثر ضمنا من محيط النزعة الوضعية Positivisme السائدة.

بناء على قانون التضاييف القصدي، ترسم هذه الماهيات كل جوانب جهات الواقعية الباعثة إلى عمليات الوعي النوعية بوصفها توجه الظاهرة إلى شروط إمكانها الظاهرية، بالنظر إلى أنماط العطاء من أجل الوعي وعبره Pour et par la conscience، ويسمى الرّد منذئذ "ترنسدنتاليا" إنها آخر مرحلة للرّد،

وهي المرحلة التي تَمَّت مناقشتها بحدة من طرف تلاميذ هوسرل والمعلقين على أعماله: العودة إلى الذات الترنسندنتالية.

2. نظرية التأسيس (التقوّم)

لكي يكون الوعي الخالص محددا كميدان يمكن أن تتجلى فيه الظواهر وتتخذ معنى، يمنحه من دون شك نظاما خاصا، هو المعنى الماهوي. يتمثل هذا الوعي (الخالص) المكان الذي تؤسس فيه الذات الترنسندنتالية معنى كل ما يمكن أن ينعطي في التجلي لوعيه. وأن تكون الذات "ترنسندنتالية" *Transcendante*، معناه أنه، قبل كل تجربة خصوصية، تمتلك (أي الذات الترنسندنتالية) شروط إمكان تأسيس هذه التجربة فهي (أي الذات) تسبقها (تسبق التجربة) وتعطيها المعنى تزامنيا. إن كل موضوع *Objectité*، مهما بلغ تعقيده، كمنطلق رياضي، لا يأخذ معناه النهائي سوى من عمليات تأسيسية/تقوّمه للوعي الترنسندنتالي الذي يتعقله (يتعقل المعنى)، فوحده الأنا المفكر اللامبريقي *Ego non-empirique* بعد غريبته بالرد *Réduction* يمكنه، حسب هوسرل، الحصول على هذه المقدرة في استفهام، من دون تحديد، معنى كل ما يمكن انعطائه للحدس ليضمن صلاحيته، أي، قبل كل شيء، تحديد المعنى فيه وبعد ذلك التأكد من أن هذا نفسه يجب على تحديدات الماهية. تؤسس الذات الترنسندنتالية، مفصولة من طرف عملية الرد عن كل أنا إمبريقي، دلالة كل موضوع مائل في الوعي، ولكن ما معنى التأسيس/التقوّم هاهنا؟

بالنسبة للبحث الفينومينولوجي المتعمّق في الرد، من السهل القول بأن وجود هذا الموضوع معلق، وبصورة مختلفة، فالتأسيس لا يعني بالنسبة للفينومينولوجي "خلق" *Créer* أو "إنتاج" *Produire* وجود هذا الموضوع، بما أن موقف الوجود الفعّال موضوع بين قوسين كليا، وبالتالي يجب الابتعاد عن كل فهم سببي للتأسيس. فما هو، والحالة هذه، المعنى الفينومينولوجي الحقيقي للتأسيس/التقوّم؟ عادة ما كان هذا المعنى يدلّ بالنسبة لهوسرل على "عطاء المعنى" *Donation du sens*. ولكن العبارة غامضة. أو "توضيح" المعنى المعطى *Elucidation (erklärung)*. للوعي سلطة تأسيس معنى الموضوعات التي تنعطي له وذلك بالكشف عن الدلالة التي تطرأ عليها في كل مرة بشكل خاص. وبما أن الدلالة مفهومة على الأقل منذ 1908، بما هي مثالية من دون مزاحمة واقعية، فمن الواضح بأن الذات، حتى الترنسندنتالية منها، لن تتمكن من إنتاجها، إنها معطاة له فقط لإلقاء الضوء عليها بالنظر إلى مدى التحكم فيها وبمعرفتها ولربما بمساءلتها، وهو ما يشير إليه هوسرل في "التأملات الديكارتية" *Les méditation cartésiennes* في 1929 "في حياة الوعي فقط يتأسس كل تعال بما هو متوحد مع الوعي" 5، وبالتالي، فحسب هوسرل، وحده الوعي

الترنسندنتالي لأننا هو الذي يملك الملكة المعروفة بالقدرة على ردّ الاعتبار لمعنى مختلف الموضوعات التي تثيره.

إذا كان بإمكان هوسرل، في "الأفكار الرئيسية من أجل الفينومينولوجيا" 1913، الإيمان بفكرة سلطة التأسيس/التقوّم الكلية ومن دون تقسيم لأننا المفكر فستين له ثلاثة ميادين للموضوعات الخاصة بأن هذه الرغبة لا تقاوم في لحظة اختبار الأحداث: الموضوعات الزمانية، الدائرة الانفعالية (الانفعالات القبل-واعية، العادات، الأفكار المشتركة، الغرائز والمشاعر... إلخ) وتجربة الآخر. هذه النماذج الثلاثة للتجربة، والتي لطالما درسها هوسرل في سنوات العشرينيات والثلاثينيات، تبين في الواقع، بأن السلطة التأسيسية/التقومية لأننا ليست وحيدة، ولكن لكي تكون الدلالات جيدة وجديرة بما هي موضوعات متماثلة ومعروفة تتأسس حتى قبل أن تكون الذات ترنسندنتالية قادرة على إكمال عطاها للمعنى. سنعرّج على هذا لاحقاً. إن تحليل التأسيس الزماني، للتأسيس الانفعالي والتأسيس البين-ذاتي، في هذه الحالات المحددة، أن أصل تأسيس المعنى لا يمكن أن يوجد، على درجات مختلفة، في الأنا المفكر *Ego* فقط، فكل ما يتأسس في الأنا *Moi* ليس بالضرورة أن يتأسس من طرف الأنا، وإنما يوجد في حضن الذاتية الترنسندنتالية عطاءات للمعنى غير المرتبطة بالمبادرة المقتصرة على الأنا المفكر.

في الحالة المثالية لتشكّل الزمانية الباطنية للذات التي درسها هوسرل عام 1905 ثم عام 1917-1918 فإن تشكّل الزمان المحايث *Temps immanent*، وليس بطبيعة الحال الزمان الكوسمولوجي *Temps cosmologique* المبعد من طرف الردّ، تحت البنية المتفوقة على الانطباع، والذي ينقسم إلى حجز *Rétention* لكل ما هو ماضي وإطلاق *Protention* لما سيتم إنتاجه، لا يتعلق بفعالية وعي الذات. يتم التدقّق الزماني، لأي موضوع كان، في الأنا من دون أنا *En moi sans moi*، فليس الأنا هو الذي يقرر الطريقة التي يتسرّب بها الزمان وتتجلّى بها الموضوعات وتتدفّق هي نفسها في الزمان الظاهراتي.

ولمجرّد هذا فإن المخطط الرئيسي للوعي القصدي، الذي يمزج منذ "الأبحاث المنطقية" "محتويات الإحاطة" و"الإحاطة"، لم يعد جديراً بالاهتمام، لأنه قبل كل تدخّل للفعالية القصدية لأننا، المحتويات الحسية (انطباعات الموضوعات التي تثير الوعي) تعطي لذاتها الشكل الزماني للتدقّق الحزبي والإطلاقي. إذا كانت فينومينولوجيا هوسرل تسمي ذاتها من بعد 1913 بـ "المثالية الترنسندنتالية" *Idéalisme transcendantal* فإن الأمر يتعلق ها هنا بمثالية سيمانطيقية *Idéalisme sémantique* لا تطالب سوى بسلطة تأسيس نهائية وقطعية *Apodictique* للدلالات المختلفة والمتناقضة، أحياناً، للموضوعات المعطاة لها تحت الشكل المحض للظواهرات في الوعي المردود *La conscience réduite*.

ينبغي هنا أن نفهم الأسباب العميقة. بالرغم من انتقادات تلاميذه (ر. إنغاردن R. Ingarden، وم. هيدغر M. Heidegger) التي بقي هوسرل لأجلها مرتبطا باستمرار بفكرة الفلسفة الترنسندنتالية، بما أنه يحدد المهمة الجوهرية في توضيح نظرية المعرفة، إذ يعتبر بأن الموقف الترنسندنتالي وحده الذي يرفع الدلالات المؤسسة عبر مختلف ميادين الموضوعات إلى شروط إمكانها التأسيسية/التقويمية، بإمكانه (أي الموقف الترنسندنتالي) أن يبلغ هدف مثل هذا التوضيح النهائي للمعرفة. الذات الترنسندنتالية ليست، بذلك، جوهرًا ميتافيزيقيا يشرف على التجربة من أعلى مافوق-إمبيريقانية *Supra-empiricité* ولكنها تتمثل بالأحرى الإصرار الحيادي، بما أنها بدون دلالة خاصة، قد تسائل وتصادق على معنى كل الظواهر الممكنة. إن الخطأ الذي ينبغي تفاديه هاهنا، هو فهم الأنا المفكر كنوع من نموذج الواقع الذي بإمكانه، في الانسحاب والمسافة، تقدير محتوى كل أجزاء العالم الأخرى. ومن منظور الواقع، فالأنا المفكر لا شيء، إنه لا يتمثل سوى حقل العطاء المحض، الذي، ستمكن كل الدلالات الممكنة الأخرى المنتمية إلى العوالم المختلفة، العالم الطبيعي، العالم الصوري، العالم الثقافي والعالم الإنساني، انطلاقاً منه، من المرور عبر غربال المشروعية. هذا هو سبب إرجاع هوسرل للنزعة المثالية الترنسندنتالية إلى "التفسير-الذاتي" *Auto-explication (selbstbesinnung)* الترنسندنتالي للأنا المفكر نفسه.

ولكن حتى يتمكن، هذا الأخير، من ردّ الاعتبار لكل الدلالات الممكنة للعوالم المنطقية والخيالية، الواقعية والخيالية، ينبغي أيضاً أن يعلم مسبقاً ما لديه في قدرته التأسيسية الخاصة. يكمن أحد الميادين الأكثر أهمية للفينومينولوجيا الترنسندنتالية في فينومينولوجيا التأسيس/التقويم (الموجود الآخر للتشكّل الفينومينولوجي للأنطولوجيات الملازمة لمختلف جهات العالم) التي تتعهد بالتخلص من كل الشروط الذاتية لعطاء المعنى باسم توضيح معقّد للبنى الدلالية الخاصة بالأنا (زمانيتها الخاصة، علاقته بالدائرة الانفعالية، تمفصله مع نماذج أخرى للوعي التأسيسي... إلخ). غير أن هذا البحث في حياة الذات الترنسندنتالية نفسها لا يسائل جذرياً قدرتها التأسيسية الخاصة. فأن يتم التمكن من تقسيم سلطتها التأسيسية لا يعني بأنه يجب التخلي عنها. إن الاكتشاف الرئيسي لميادين الزمانية، الانفعالية والبيد ذاتية كإكتشاف "عالم الحياة" *Monde de la vie* القبل-علمية في أزمة العلوم الأوروبية 1936 يقضي على الادعاءات المطلقة للذات الترنسندنتالية، ولكنه لا يهدمها كلية، لأن هذه التأسيسات الأصلية والقبل-أنوية *Pré-égoïques* والتي لا يملك عنها، من أول وهلة، المبادرة ولا حتى الرقابة لا معنى لهما سوى بالنسبة له. إن معنى التأسيس يتعدد، أكثر من كونه لا يتحدد.

لا وجود للتناقض إذا، بالنسبة لهوسرل، ما بين العطاء والتأسيس/التَقْوَم. فإمكان الموضوع أن ينعطي عينيا في الحدس وفي الوقت ذاته لا يتحصّل على معناه المثبت إلا من تأسيس معنى الوعي. إذ إنّ هذا الأخير لا يبتغي نفس الدلالات المؤسسة قبلا (قبل-مؤسسة) الموجودة في المعطيات التي تنجزه في الصورة الحدسية بل لتوضيحها والمصادقة عليها إن لم يكن هذا العطاء متناقضا أو متناقصا.

3. توسيع التجربة:

كما سبق وأن رأينا، فالذات المؤسسة ليست هي الذات المطلقة التي تخلق العالم في سرية، عالم تتماهى فيه الموضوعات المختلفة قصد بلوغ المعنى، وإنما هي ذات تقصد التوضيح النهائي والمنتكامل للتجربة. في المقابل هل يمكن ردّ هذه الأخيرة إلى ذات متأملة *Sujet réflexif* تثبت وتتعرف؟ لو كانت الفينومينولوجيا تسعى، كما يؤكّد مؤسسها، لأن تكون نزعة وضعية كاملة لكان ينبغي عليها أيضا أن تقيم اعتبارا لكل ما تؤسسه التجربة وألا تحتمي في القلاع المطلقة والمحددة بالأنا الترنسندنتالي. لقد سمحت تحليلات الزمانية الداخلية للوعي لهوسرل بإبداع قصدية لم تكن، بصورة مباشرة، نتيجة لأفعال الأنا. ابتداء من الحرب العالمية الثانية سيطوّر هوسرل أبحاثا فينومينولوجية في إطار دائرة الذاتية *La sphère de la subjectivité* التي لا تتعلق مباشرة بالفعالية النظرية والاختيارية للأنا.

إنه ميدان ما يسميه بـ"التركيبات الانفعالية" *Syntheses passives*. التركيبات الانفعالية عمليات ذاتية تنتشر قبل أي تدخل لوعي الذات، بالنظر إلى كل تركيبات الزمانية الداخلية، الإدراك الحسي، العادات وتأسيس الحقول الحسية... إلخ. في "دروس حول التركيب الانفعالي" 1921 *Leçons sur la synthèse passive* لا يتردد هوسرل في تقديم هذا الميدان بما هو الميدان "اللاواع". هذا المفهوم الأخير، المحمّل بالدلالات في العشرينيات، ليس مفهوما بجنيسيه الفرويدي. إذ إنّّه ليس الموضوع الذي تنتظر فيه الدوافع المكبوتة، على الدوام، وصولها إلى الأنا. إنه يمثّل بالأحرى الموضوع المقابل للأنا، منطقة لما قبل-الوعي *Pré-conscience*.

التركيبات الانفعالية، باعتبارها ذاتية ولكنها لا-أنوية *Non-égoïques* تجيب حينذاك على قوانين قبلية *A priori* للمولّد والتطوّر؛ إذ تتمفصل هذه الأخيرة، ضرورة، حول مبادئ التصورات: التماثل، التضاد والتقارب. تسمح هذه التصورات، قبل أي تدخل للأنا الفاعل، بتأسيس أحادي ومنغلق، قبل-أنوي وقبل-مقولي *Pré-catégorial* للتجربة. وبفضل الانصهار المستمر للعناصر الحسية وتطابقها مع الموضوعات المتماثلة، تمنح التركيبات الانفعالية، الأنا أفعالا في "عالم-قبلي" *Pré-monde* يمكنه (أي الأنا) استخراج معطيات مناسبة منه (أي من العالم القبلي) والقيام بمقاربات وإصدار أحكام. ليست

الانفعالية، إذا، قصورا للوعي البسيط الانفعالي والمتأثر، وإنما هي تحت وعي فعّال (رغم أن هذه الفعالية ليست جليلة ومتموضعة، بما هي كذلك) ينظم سرّيا حقل التجربة المتمفصل نسبيا ليتمكن فيه الأنا الفاعل من ترك بصماته. وحدوية الأنا والبيد-ذاتية الترنسندنتالية: **Solipsisme et intersubjectivité transcendante**

الدائرة الانفعالية هي الموضوع الذي يتم فيه التطابق **L'intropathie** (أو التماهي **empathie**) مع الآخر. منذ 1907 خضعت تحليلات هوسرل لنقد وحدوية الأنا **Solipsisme**، بمقتضى معارضة العالم الخاص، المردودة إلى التجربة الوحيدة التي يمكن أن يمارسها أنا متوحد ومنغلق على نفسه. في الواقع، إنه ردّ التجربة إلى الوعي الخاص بالأنا. ومنذ 1911، أخذ هوسرل في الحسبان هذه الاعتراضات. وفي 1928 سيستحضرها أيضا: "حينما أرتدّ إلى نفسي **Je me réduis à moi-même**. الأنا المتأمل **Le je méditant**، بفضل الإيبوخي الفينومينولوجي، إلى أناي المفكر الترنسندنتالي المطلق، ألن أستحيل إلى أنا وحدوي؟"6. لا يتوقف هذا الأفعوان المتخّم بوحديّة الأنا عن السيطرة على التحليلات الهوسرلية للبيد-ذاتية، إلى درجة أن العشرين عاما الأخيرة من حياة هوسرل قد خصصت كلية لتحضير مذهب فينومينولوجي في البيد-ذاتية. يتكرر الاعتراض على وحدوية الأنا، بالأحرى مع المذهب الهوسرلي للردّ **Réduction** والتأسيس **Constitution** حيث يبدو مستحيلا جعله نظرية في البيداتية.

في الواقع، إن ردّ التجربة إلى معطيات قصدية لذات ترنسندنتالية كملكة لتأسيس كل دلالة لهذه التجربة تجعل من السهولة بمكان التعرف على الآخر بما هو آخر. فهل يُردّ الآخر إلى معنى مدرك ومؤسّس من طرف الأنا؟ هل هو مجرد موضوع قصدي كسائر الموضوعات؟ ألا تستحق المثالية الترنسندنتالية لهوسرل تسمية مذهب أصلي في البيد-ذاتية؟ إذا كان "كل ما يوجد بالنسبة للوعي يؤسس في ذاته"7 فكيف يمكن لهذا الوعي أن يقبل وجود وعي آخر مؤسّس، بما هو موضوع بسيط؟

حتى نجيب عن هذه الأسئلة، ينبغي على التحليلات الهوسرلية في البيد-ذاتية أن تستعيد سؤال إدراك الآخر. كيف يمكنني أن أميّز الآخر من بين المعطيات الظاهرية التي تؤثر باستمرار على وعي؟ كيف تجري هذه السيرة في التعرف على وعي لصالح وعي آخر، في حين أنني لم أدرك كفاية سوى هذه المعطيات الجسدية، وليس الوعي الغريب نفسه؟ يُجري هوسرل هاهنا ملاقة لمشكل الـ "تطابق" **empfindung** الذي درسه النفسانيون الألمان (إيردمان ليبس **Erdman lipps**) بإصرار مع بداية القرن العشرين. يربط هوسرل، رافضا التطابق كنتيجة لـ "الاستدلال بالقياس" **Raisonnement par analogie**، بما أن هذا

الأخير يتم من دون وساطة أي حكم، بعملية تحوّل لاوعي لمعطيات حسية وجسدية بأخرى. وإذا ففي الحياة الحسية يوجد مفتاح الدائرة المظلمة ولكن من دون الخضوع لضريبة التطابق.

تتجلى دراسة البي-ذاتية، بحصر المعنى، في التأمل الخامس من "التأملات الديكارتية" عبر ثلاثة مراحل: أولاً، يبحث هوسرل عن عزل التجربة الخالصة للأنأ، مجرداً من أي ارتداد للآخرين، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة (اللغة، الثقافة، الموضوعات التقنية... إلخ) مُقصياً كل ما يرتد مباشرة أو بوساطة إلى ذاتية غرائبية، يحدد السياق الإجمالي لـ "القصدية الممكنة و الراهنة التي يتأسس فيها الأنأ في خصوصيته" 8. هذه الدائرة، يسميها "دائرة الخصوصية" *La sphère du propre* أو "الجوهرية" *Primordial*، بمقتضى كل ما لا يرتد إلّا إلى الأنأ ولا يمكن أن يجعلني خاضعاً من دون إخضاعني أنا نفسي. والحال إذا، فما الذي يؤكّده بإصرار على إلغاء حضور الآخر؟ "في التجريد، يلاحظ هوسرل، تبقى لنا طبقة واحدة ملازمة لظاهرة العالم". كل ما يرتد إلى الطبيعة وإلى الثقافة يبدو بما هو حضور حسي بسيط، بما هو تلازم إدراكي لمعطيات محضة مجردة من كل معنى بين-ذاتي واجتماعي.

يبدو إذا أننا قد بلغنا هاهنا الطبيعة الأصلية للعالم في وفاق مع دائرة خصوصية الأنأ. هذه "الطبيعة الأصلية" ليست سوى الشمولية المدركة من العالم، المحاطة كنسق لكل الإدراكات الخالصة، مجردة من كل الدلالات البي-شخصية *Inter-personnelles* والثقافية، من كل موضوعة علمية *Objectivation scientifique* في شكل قوانين وعن العلاقات السببية... إلخ. 9. والحالة هذه، حتى في عالم "الطبيعة الأصلية" تتميز بعض الإدراكات عن غيرها بما تمثله بالضبط شيئاً ما كذات أخرى. إن استراتيجية الإقصاء الميتودولوجي التي استخدمها هوسرل لا تستهدف سوى تأكيد قصورها الخاص: الغيرية، بمعنى ما، لاردية (غير قابلة للرد) *Irréductible*، أو بالأحرى، هي تنتمي ماهوياً أيضاً إلى دائرة الخصوصية.

في هذه الدائرة الأصلية، لا يتجلى الآخر طبعاً وفقاً لمحمولات ثقافية أو لسانية موضوعة بين قوسين ك: إنسان، أستاذ، غربي... إلخ، إنما كموضوع خاص يحتوي على آخرين بصورة مختلفة. في الأنأ، يتأسس آخرون غير أنا، ومن الممكن أن أول تعالي يتولّد يُنتج لما يليه قصدية يكون هو تعالي الآخر. إن ما يجعلني على الإطلاق غريباً منذ البداية "هو الأنأ الآخر" *C'est l'autre moi*.

مع هذا التعرف الأدنى على حضور الآخر في الأنأ تنفتح المرحلة الثانية. تهدف هذه الأخيرة إلى التوضيح بأنه في دائرة الرد في ما يجعلني أستمّر هو الارتداد إلى الآخر في صورة المعنى الذي يحتفظ به الآخر بصدد الأنأ. حتى وإن علمت أن الآخر يختلف عن مختلف الموضوعات المدركة فما يبقى هو أنه

ينعطي للأننا (لي) كموضوع مدرك ربما هو تدقق لوعي الداخلي. ففي مجرى وعي، لا أملك منفذا مباشرا وممتازا سوى في معيشاتي الخاصة. غير أنه لدى تدفق هذه المعيشات الخاصة، يظهر الآخر كشيء مدرك، كشيء آخر (مختلف) عما هو مدرك. هذا الحضور للآخرين في الأننا (في) يحيل إلى ما يسميه هوسرل بالينذ-ذاتية الترئسندنتالية *Intersubjectivité transcendantale* بمقتضى الحدث القبلي الذي يحتويه كل أنا في نفسه، قبل كل تجربة فعلية لهذا الإنسان الآخر أو ذاك. هذا الارتداد إلى الآخرين. ترتكز إذا سيرورة التطابق على شكل التأكيد الخارجي لهذا الحضور القصدي في حضور إدراكي واقعي. فالتطابق لا يتموقع في ميدان التعرّف العقلي، بل، كما أشرنا إلى ذلك، في ميدان التماثل الحسي والقبل-واعي.

أما المرحلة الثالثة فإنها تنفتح مع إيضاح الميكانيزم الانفعالي والقبل-مقولي *Pré-catégorial* للاقتران *paarung*. من هنا ينبغي فهم التداعي عن بعد لجسدين يؤسسان، قبل أي قصد للتعرف النظري، نوعا من العلاقة الانفعالية تساعد، بالضبط، على الاكتشاف المائل للآخر. يتمّ التداعي الاقتراني ضرورة بفضل تشابه هذين الجسدين وتعبيريهما الجسدية (الجسمانية). يوجد هاهنا "إدراك تماثلي" 10 يسميه هوسرل بـ "الاستحضارية". *Appréhension*، ليست حضورا في الأننا: بما أن معيشاتي وحدها تمتلك هذا الامتياز في الحضور المباشر، ولكنه ليس بالضبط متمثلا من طرف الأننا، بما أنه لا عملية عقلية في إطار اللعبة. ليست التقديم *Présentation* ولا حتى التمثّل *Représentation*، بل تعني "الاستحضارية" هذا التعرّف الحسي المباشر لما هو في آن معا الأننا عينه وما يختلف عنه.

4. عالم الحياة:

لا تستقرّ البي-ذاتية الترئسندنتالية عند هوسرل في بنية بسيطة قبلية للذاتية نفسها. إنها تمتلك فعلية اجتماعية وتاريخية. والتحليلات حول "عالم الحياة" *lebenswelt* والتاريخ، التي ستهيمن انطلاقا من 1930، تشهد بهذا المنعرج الملحوظ للفينومينولوجيا الهوسرلية نحو العالم المحسوس والاجتماعي. لقد رأى البعض تأثير أنطولوجيا فينومينولوجيا الدازاين *Dasein* لهيدغر، غير أن الدافع يبدو لنا أقدم وأعمق من مجرد قراءة لـ "الوجود والزمان" 1927. في الواقع، كان هوسرل قد قيّم، ومنذ المجلّد II لكتاب "الأفكار" الطابع الاجتماعي والتاريخي للعالم الإنساني.

إنّ التحليلات التي تستند على الموقف الشخصاني *Attitude personnaliste* يمكن قراءتها بما هي تجسيد لآخر الأبحاث حول عالم الحياة. تكمن تجديدها هوسرل الأخير، بالأحرى، في فعل التوفيق بين تيمتين كان قد درسهما إلى غاية هذه اللحظة منفصلتين عن بعضهما. تيمة "العالم الطبيعي" *Monde*

Le monde naturel التي نشأت عن قراءته لـ أفيناريوس **Avenarius** وتيمة "العالم اليومي والاجتماعي" **quotidien et social**، الذي جعله يتأثر فيه مباشرة بديلتاي **Delthey**. يمكن اعتبار أن عالم الحياة بالمعنى الهوسرلي يصهر هتين التيمتين في تيمة واحدة. فمن العالم الطبيعي، يحتفظ عالم الحياة بالطابع الكوني والقبلي لعالم معطى قبل أي تمثيل نظري وأي مشروع عملي، ومن العالم الاجتماعي، يحتفظ بالمشهد التاريخي والجماعي، النافذ في الثقافة والأخلاق. عالم الحياة هو في الآن معاً عالم أولي وواحد وفي الوقت نفسه عالم خاص، ولكن ألا يوجد أي تناقض هنا؟ كيف لعالم الحياة الذي يسبق العالم النظري للعلم ولتمثيلات العالم، ويؤسس فيه جزء كبيراً من بداهاته، ليس فقط كـ الشرط الذي ليس بدون **condition sine qua non**، وإنما كـ الشرط الذي بواسطته **condotio per qua**. كيف يمكن لعالم الحياة "الذاتي والمضاف"، حسب الصفتين الاعتياديتين اللتين يعطيها هوسرل، أن يحمل لوحده ادعاء كونه العالم الأصلي والكلّي؟ هذه المفارقة أقوى من أن يعتبر هوسرل، من خلالها، في نصوصه الأخيرة بأن عالم الحياة يتقوم أرضية تأسيس النظريات والتحضيرات النسقية للعلم، فمنه تأخذ الحقائق الحملية منبعها.

تؤسس هذه المفارقة، إذا، الاهتمام الأكبر للنصوص الأخيرة المصنفة في "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية" **La crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantale**. كان هوسرل يعتقد بأنه سيحل هذه المفارقة بتوضيح أن عالم الحياة، بما هو عالم حياة بين عوالم أخرى مع هذه المحتويات الثقافية الخاصة، الذاتية والنسبية **Subjectivité et relative**، يمتلك، في المقابل، بنية شكلية جديدة بكل عوالم الحياة الممكنة. إنه ما يسميه هوسرل بـ "قبلي" **L'a priori** عالم الحياة. هذا الأخير يرتكز في صورة أولية تحدد، تقريباً، بصورة متعالية كل حياة يومية أن لها أن تهتدي إليها في كل ثقافة.

يوجد إذاً حتى بالنسبة للتجربة الحسية والمتغيرة لعالم الحياة في تشكيلها القبلي-لساني والقبلي-علمي قبلية تمنحها طابعاً كلياً وضرورياً. للأسف، فقد اكتفى هوسرل بالإشارة إلى هذا الصرح البنيوي لعالم الحياة (التواصل، الاعتقاد الأصلي في وجود العالم، العالم التقني) من دون تحليله. يبدو هوسرل، في الواقع، هاهنا أكثر انشغالا بفهم الدور الذي يلعبه عالم الحياة في علاقته بعالم العلم عن مجرد الوصف المفصل لتأسيسه الحسي. إنه، من دون شك، السبب الذي بقي من أجله، وصفه الفينومينولوجي للأشكال قبلية لعالم الحياة عامّاً، ولكن ما هي بالضبط علاقة عالم الحياة القبلي-علمية واليومية بعوالم عليا، مجرّدة ومؤسسة من قبل المذاهب العلمية.

من أجل الإحاطة بمعنى علاقة التأسيس المعقدة بين العالمين، علينا قبل كل شيء أن نعرّج على التشخيص الذي قام به هوسرل للوضع النقدي لعلوم زمانه. إنه يؤوّل في واقع الأمر أزمة العلوم التي أودت بالعالم الحديث إلى الانفصال المتزايد للمذاهب العلمية مع التجربة، انفصال سيكون فيه تريض الطبيعة *Mathématisation de la nature* لغاليليه *Galilée*، الأب التاريخي الذي دَعَم، بتغييره للعالم المعيش إلى العالم المؤمّن *Le monde idéalisé*، المنطلقات والقوانين وبالأخص باعتباره أن هذا الأخير وحده (أي العالم المؤمّن) هو الذي يؤسس الواقعي منه. من أجل الإجابة (تفسير) هذه الأزمة التي تتجلى في يوم مضطرب في كل العلوم الإمبريقية والصوربة والتي تلقي بمسؤوليتها في القلق الوجودي للإنسان الغربي، لا يقترح هوسرل مجرد قلب بسيط لهذه العلوم على صروحها النظرية، وإنما بإعادة تجديد الوعي بها تأملياً وتاريخياً بنفها الأصلي للتجربة العالمية والقبل-علمية مع أنها كانت متطورة فيها. كان يسعى أيضاً للوصول عبر منهج "مسألة العكسية"/الارتداد *ruckfrage* للعديد من التشكلات العلمية في عالم الحياة المؤسسة فيه تاريخياً (كما قام به مثلاً في "أصل الهندسة" 11 انطلاقاً من صناعة (تقنية) *Technique* مسح الأراضي *Arpentage* في مصر القديمة)، حتى وإن فقدت، اليوم، معنى هذه العلاقة التأسيسية وأصبحت تفتقر بطريقة جد ساذجة باستقلاليتهما الأنطولوجية.

لا ينبغي الاعتقاد بأن هوسرل يبحث عن تحطيم الحقائق العلمية بإرجاعها إلى تقنيات بسيطة من عالم الحس المشترك. إن تكون *Genèse* النظريات العلمية، انطلاقاً من أرضية عالم الحياة يبتغي إبطالها (إبطال الحقائق العلمية)، بل على العكس من ذلك، يهدف إلى إعطاء هذه الحقائق، القائمة في النظام الوحيد للمفهوم، تجذراً أكثر صلابة ضمن البدايات الحدسية المختلفة التي يحملها الرأي القبل-حملي *Doxa antéprédicative*. عادة ما نفهم عالم الحياة بما هو ملكة البدايات الخالصة والمكتفية بذاتها، التي، إذا ما توفرت على الحذر الذي تستحقه قضت على الدور التعسفي والمطابق للعلم. إن عبارة "حجاب الأفكار" *Voile des idées* التي يوظفها هوسرل لتمييز المطابقة التي تنتجها النظريات العلمية مقابل البدايات الحسية والقبل-علمية التي قد لا تكون خاطئة أو زائفة، وإنما تحجب باسم البناءات النظرية، في حين أنها تنضبط بواسطته رغماً عنها، بمقتضى التجربة المتعددة والقبل-لسانية لعالم الحياة. ليس هوسرل ساذجاً إلى درجة الاعتقاد بأن هذه البدايات تؤسس علماً أو حتى معرفة. إن بدايات عالم الحياة هذه تنطوي في ذاتها على نقص دقة الأحكام العلمية، علماً أن هذه الأخيرة، منفصلة عن كل ما يربطها باليقين القبل-حملي *Certitude antéprédicative*، تفقد الكثافة الحدسية في الارتداد إلى العالم.

إن المسيرة الجينياولوجية لهوسرل الأخير تقصد إذا مطابقة، في لحظة أولى، حقائق عالم الرأي وإنعاش، العالم العلمي في لحظة ثانية، على الأقل من أجل التوجه نحو تربيض الطبيعة، الذي لا يوجهه إلى إدراك الارتدادي والحقيقي سوى بناءاته النظرية، الخاصة، بل إنها تبحث بأية طريقة كانت عن إزاحة الثاني لصالح الأول وحده.

6. خاتمة:

إن إرادة تأسيس الفلسفة "بما هي علم صارم" *Science rigoureuse* وإعطاء العقلانية تأسيساً أقل صورية وأكثر حدسية كما في فلسفة كانط النقدية، تؤسس بدون أدنى شك الفكرتين الرئيسيتين لدى هوسرل، وهو ما يدفعه إلى وضع حضور الدلالة على جميع ميادين التجربة، الزمانية *Temporalité*، الأكثر أصلاية والأكثر باطنية للذات في أشكالها الاجتماعية والتاريخية. غير أن هذه الدلالات المتعددة والمتراكمة بسبب التلازم القصدي، ترتبط دائما بملكة توضيح وشرعنة الذات *Validation du sujet*.

لو فكّر الفينومينولوجيون بعد-هوسرليين في القدرة على تأسيس أنطولوجيا لهذه الميادين المختلفة للموضوعات أو المعطيات (أنطولوجيا الوجود، العالم الطبيعي، العالم القبل-موضوعي، الحياة ذاتية-الانفعال... إلخ) من دون المرور عبر ضرورة التوجه إلى حكم ذاتي عن الإيضاح، بل بالأحرى في خرق هذا الأخير للتمكن كما يعتقدون من الولوج إلى التجربة بصورة مباشرة وفورية من مثل هذا النقاء. كثيرا ما اعتبر أب الفينومينولوجيا من جهة بأنه كان بإمكان العلاقة مع الذاتية لوحدها أن توضح المعرفة بإعطائها ذاتية الارتدادية الضرورية لحقيقة تفرض من ذاتها بذاتها. إنه الدافع الذي من أجله تحتل كل الأنطولوجيات الممكنة للموضوعات أو العوالم، على قدر أهميتها (نفكر هاهنا في أعمال فينك *Fink*، باتوشكا *Patočka*، لاندغريب *Landgrebe* وميرلوبونتي *Merleau-ponty* وهنري *Henry*) بالنسبة له موقع تبعية مقارنة مع الفينومينولوجيا، بمقتضى العلاقة مع علم عطاءاتهم الحدسي في وعبر وعي خالص. لا تنشأ هذه التبعية عن امتياز أنطولوجي للذات، بما أن هذه الأخيرة تعلق وجودها بنفسها وتفكر ذاتها كمحض "حقل للعطاء المطلق" وإنما تنشأ عن ميزة إبستمولوجية، أي بحيث يمتلك القطب الذاتي لوحده، داخل التلازم القصدي نفسه، ملكة التأمل في فهم العناصر الثلاثة التي تؤسسه بالفعل: الموضوع القصدي، عالم العطاء الذاتي والعلاقة المشكلة بذلك.

إن توضيح، الدائرة الانفعالية للزمانية الأصلية والانفعالية والعادات القبل-واعية، ثم للبي-ذاتية وأخيرا لعالم الحياة اليومية والتاريخية، من خلال فلسفة هوسرل الأخيرة، رغم ما يدفعها لإجبار الأنا على قبول دلالات قبل-مؤسسة من طرف الآخرين، لا يهيم موقفه المركزي، بل على العكس من ذلك فإن الإجابة، باستمرار، عن مختلف دلالاتها الانفعالية، البي-ذاتية والتاريخية، التي تتجاوزها في كل لحظة. بكلمة، لم تتنازل الفينومينولوجيا عن حلمها في أن تكون نظرية خالصة للمعرفة. وإن جابت مجالات كانت مهجورة من قبل فلسفات المعرفة، بمقتضى هوامش التجربة النظرية، فقد كانت تقوم بها على الدوام محافظة، باستمرار في فكرها، على الإمكانية الوحيدة لتوجيه معطياتها المهمة والزائفة في معرفة الأجدر والأجود.

5. قائمة المراجع:

- 1- هوسرل، إدموند، أفكار رئيسية من أجل فينومينولوجيا، وفلسفة فينومينولوجية خالصة، المجلد I (المسمى اختصاراً بالأفكار I)، ترجمة: بول ريكور، غاليلار، باريس، 1950، ص 95.
- 2- المصدر نفسه، ص 102.
- 3- المصدر نفسه، ص 99.
- 4- المصدر نفسه، ص 7، الفينومينولوجيا المحضة أو الترسندتالية لن يتأتى لها الاقتران إلى علم مبني على الأحداث وإنما على الماهيات".
- 5- هوسرل، إدموند، تأملات ديكارتية، الترجمة الفرنسية لـ م دي لواناي، المطبوعات الجامعية الفرنسية، باريس، 1994، ص 108.
- 6- المصدر نفسه، ص 137.
- 7- المصدر نفسه، ص 132.
- 8- المصدر نفسه، ص 141.
- 9- المصدر نفسه، ص 147.
- 10- المصدر نفسه، ص 160.
- 11- يمثل أصل الهندسة L'origine de la géométrie أحد ملاحق "أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترسندتالية". ملاحظة: لقد تمت الإشارة إلى مرجعية المقال الذي أخذت منه هذه الترجمة، ولا حرج في التذكير بها في هذا المقام، وهي كما يلي:

Bruce BEGOUT, Edmund Husserl in: introduction à la phénoménologie, sous la direction de Philippe CABESTAN, ellipses, Paris, 2003, PP 11-35